

مدارس الأدب المقارن بين التنظير والتطبيق عند سعيد علوش

Schools of comparative literature between endoscopy and application
at Saeed Alloushثائر محمد إبراهيم الملكاوي¹¹ الجامعة الأردنية ، Thaeralmalkawi555@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/07/..

تاريخ القبول: 2025/07/07

تاريخ الاستلام: 2025/05/09

ملخص:

تتناول هذه الدراسة مدارس الأدب المقارن كما عرضها الباحث سعيد علوش، مبيناً دور هذا الحقل في توسيع آفاق الفهم الأدبي والثقافي بين الشرق والغرب. وتبرز أهمية الأدب المقارن بوصفه علماً متجدياً يعزز التفاعل بين الثقافات، ويسهم في تقييم وتطوير الإبداع الأدبي. وقد وظف الباحث مناهج متعددة؛ كالمناهج المقارن والتحليلي والتاريخي والاستقرائي؛ لتقديم رؤية شاملة لتطور هذه المدارس. خلصت الدراسة إلى أن المدارس المقارنة -الفرنسية، والأمريكية، والسلافية، والعربية- تمثل اتجاهات منهجية متباينة تسهم في تحليل العلاقات الأدبية عبر الثقافات.

كما أوضحت الدراسة قدرة هذه المدارس على التأقلم مع التحولات الاجتماعية والثقافية، مما يجعلها أداة فاعلة في النقد الأدبي وتطوير الفكر الإبداعي.

كلمات مفتاحية: الأدب المقارن؛ مدارس الأدب المقارن؛ علوش؛ المدرسة الفرنسية؛ المدرسة الأمريكية.

Abstract: This study deals with the schools of comparative literature as presented by researcher said Alloush, indicating the role of this field in expanding the horizons of literary and cultural understanding between the East and the West. The researcher has employed multiple approaches, such as comparative, analytical, historical and inductive approaches, to provide a comprehensive vision of the development of these schools. The study concluded that comparative schools. represent divergent methodological trends that contribute to the analysis of literary relations across cultures.

Keywords: comparative literature; schools of Comparative Literature; Alloush; French school; American school.

المؤلف المرسل: نائر محمد إبراهيم الملكاوي ، الإيميل: Thaeralmalkawi555@gmail.com

1. مقدمة:

يعد الأدب المقارن من العلوم المهمة في مجال العلوم الأدبية والنقدية؛ فهو نافذة نطل منها على مختلف الآداب في الشرق والغرب، ويمثل انفتاحاً على هذه الآداب بلغاتها المختلفة، والأدب المقارن من العلوم المتجددة التي لا تقيد الفكر والإبداع، بل تعمل على توسيع آفاقه، ولا شك أن دراسة أسس ومبادئ مدارس الأدب المقارن يعد باباً من أبواب الانفتاح على الثقافات المتنوعة، ونوعاً من أنواع الجمع بين المتناقضات أو المتشابهات، وإعادة فهم للأعمال الأدبية بأدوات جديدة تتجاوز الحدود المألوفة، نحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على المناهج والمفاهيم الأساسية لمدارس الأدب المقارن، منذ نشأتها، وتطورها، وتأثيرها بالأفكار الأدبية والنقدية، وكيف أن دراسة الأعمال الأدبية تختلف من مدرسة إلى أخرى، وذلك من خلال كتاب "مدارس الأدب المقارن" لسعيد علوش. يعد هذا الكتاب من الكتب المهمة في مجال الأدب المقارن ومدارسه، فهي دراسة جادة تعطي صورة متكاملة لطلاب العلم والباحثين في هذا المجال، وذلك من خلال استعراض المؤلف أسس تطور كل مدرسة من مدارس الأدب المقارن، وبيان أهميتها من الناحية الأدبية والثقافية، والنقدية، ويعد هذا الكتاب من المصادر القيمة التي لا غنى لطلاب العلم عنها، فهو يقود الطالب لفهم الأدب المقارن، ودراسة مدارس واتجاهاته وتياراته.

ويركز هذا الكتاب على أربع مدارس رئيسية، وهي: المدرسة الفرنسية، والمدرسة الأمريكية، والمدرسة السلافية، والمدرسة العربية، وسنتعرف في هذه الدراسة على أبرز أعلام كل مدرسة منها، وبحكم خبرة سعيد علوش فإن كتابه يعد من الإسهامات المتميزة في هذا المجال، ويعطي رؤية شاملة لطالب العلم للمشهد الأدبي النقدي العالمي، وكيف كان لهذه المدارس الأثر في تنوع الثقافات وتشكلها، فضلاً عن دعم التفاعل الأدبي، والثقافي، والنقدي، وبناء جسور التفاهم والتواصل بين الشعوب، ومن مميزات هذا الكتاب أن المؤلف قد جمع بين التنقيب في تاريخ هذه المدارس وأنظمتها النقدية، وبين الانفتاح على الآداب والأفكار المختلفة، وينقل القارئ إلى رحلة تحليلية تفكيكية؛ ليبحر فيه في عالم الاكتشافات العميقة والمقارنة الدقيقة، ليرفع من سقف فهمه الأدبي والنقدي، ويعزز عنده قيماً من الحوار والتعايش السلمي، بالرغم من اختلاف اللغات، واللهجات، والديانات.

ولا بد من الإشارة إلى أن أول دراسة منهجية عربية في هذا المجال تعود للدكتور محمد غنيمي هلال (الخطيب، 1999، ص 267). الذي يعد من السبّاقين لهذا العلم، ومن الذين درسوا هذا العلم على أيدي أصحابه

ومجديده في بلادهم، وكان ذلك في كتابه "الأدب المقارن" الذي صدر في طبعته الأولى عام 1953م، ويعد مُحمَّد غنيمي هلال المؤسس لهذا العلم عربياً، وصاحب الفضل الأول فيه عربياً، بعد ذلك شهد المغرب العربي نهضة كبرى في هذا المجال، وقد تبع مُحمَّد غنيمي هلال عدداً من الأدباء، كان لهم الفضل في نشر هذا العلم وتطوره عربياً، منهم: سعيد علوش، صاحب الكتاب مدار الدراسة، وهو أستاذ جامعي في قسم الأدب العربي في جامعة الرباط، وعبد المجيد حنون من الجزائر، ومُحمَّد طرشونة من تونس، وقد برز اسم سعيد علوش في مجال الأدب المقارن، ومن أوائل أعماله كتابه الضخم "مكونات الأدب المقارن في الوطن العربي"، وأصل هذه الكتاب أطروحته في مرحلة الدكتوراة، يتتبع فيه علوش تاريخ الأدب المقارن عربياً، وواقعه من ناحية التأليف والتوجيه والتأريخ، والتدريس. ومنها كتاب "التأثر والتأثير في المقارنات العربية"، وكتاب "التيارات الأدبية في الوطن العربي"، وكتاب "مدارس الأدب المقارن" الذي صدرت أول طبعه له عام 1987م، ويحرص في هذا الكتاب على التعريف بمدارس الأدب المقارن، وتياراتها، واتجاهاتها، وأوجه الشبه والاختلاف، وأسس كل مدرسة، وكيفية تناول العمل الأدبي في كل مدرسة. وقد جعل علوش كتابه في قسمين؛ الأول منه: مقارنة ومفاهيم، والقسم الآخر: عنوانه بـ "مدارس الأدب المقارن".

أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة من أهمية الظاهرة المدروسة، حيث يسهم البحث في مدارس الأدب المقارن في فهم الآداب المختلفة، وتقييمها، وتقويمها، مما يساعد بالانفتاح على ثقافات متعددة، كما أن البحث في هذا المجال يساعد الباحثين في إثراء المعارف الأدبية والنقدية عند معرفة مركّزات كل مدرسة، ومقارنتها مع المدارس الأخرى، ولا شك أن البحث في مدارس الأدب المقارن يعد مركّزاً أساسياً في تبادل الخبرات والثقافات، ويساعد في تطوير المعارف الإنسانية.

أهداف البحث

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة جديدة ونظرة ثاقبة في تطور مدارس الأدب المقارن، من خلال كتاب مدارس الأدب المقارن لسعيد علوش، ويسعى لإبراز وظيفة كل مدرسة وتأثيرها في النقد الأدبي، وتفسير وتوجيه العلاقات بين الآداب المختلفة، وإبراز أهمية التفاعل الثقافي بين الشعوب من خلال تسليط الضوء على جوانب متعددة تبنتها كل مدرسة منها.

أسئلة البحث

1. ما المدارس الأدبية المقارنة الرئيسية التي ناقشها سعيد علوش في كتابه، وكيف تؤثر على الفهم الأدبي العام؟

2. كيف تطورت مدارس الأدب المقارن عبر التاريخ، وما هو دورها في تقديم رؤى جديدة للنقد الأدبي والثقافي؟
3. كيف يمكن استخدام المنهجية المقارنة في تحليل الأعمال الأدبية المختلفة والتفاعل بينها؟
4. ما العوامل التي تؤثر على تأثير مدارس الأدب المقارن في تشكيل الأفكار الأدبية وتطوير النقد الثقافي في العصر الحديث؟
5. كيف يكون الأدب المقارن أداة فعالة لفهم التجاذبات الثقافية والاجتماعية في مجتمعاتنا المعاصرة؟

منهجية البحث

فرضت طبيعة الدراسة على الباحث أن يوظف عدة مناهج: أهمها المنهج المقارن؛ حيث يمكن من خلاله مقارنة مدارس الأدب المقارن مع بعضها، ولا غنى لنا عن المنهج التحليلي؛ لفهم تفاصيل كل مدرسة وما يتعلق بها، أما المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي: فهما يساعدان في تتبع تطور هذه المدارس عبر التاريخ، واستنباط تصورات جديدة حول كل منها.

2. تقديم لكتاب مدارس الأدب المقارن لسعيد علوش

يبدأ علوش في كتابه بتعريف مصطلح المقارنة، ويصف ذلك بأنه إجراء من الإجراءات العقلية أو النفسية، مهمته الأولى تكون إعطاء صورة حول موضوع معين، ويذكر أن المقارنة هو أن تأت بعملين، وتتناول أهم ما يميز كلا العملين من البنيات الفنية، والصور البيانية والخيالية، وما يميز كل عمل عن الآخر، ذاكرة أوجه الشبه والاختلاف بينهما، ومن أسبق وأثر في الآخر، من خلال تناول منهج معين في المقارنة. ويقول علوش: يجب الانتباه لمصطلح المقارنة جيدا، فلا يؤخذ بالمعنى اللغوي كما هو، وإنما يؤخذ بالمعنى التاريخي الذي يعنى بدراسة الأشكال الفنية والتأثيرات في عملين أدبيين (علوش، 1987، ص 339). ثم ينتقل علوش للتفريق بين أربعة مصطلحات، وهي: الأدب المقارن، والأدب العام، والأدب القومي، والأدب العالمي. فيقول:

1. إن الأدب المقارن: يهتم بدراسة الصلات الوثيقة بين عملين أدبيين أو أكثر، ويشير إلى أن أحد هذه الأعمال لا بد أن يكون عملا أدبيا قوميا، والعمل الآخر المقابل له عملا أجنبيا غريبا عنه.

2. أما الأدب القومي: هو الأدب الذي يتصل بمواضيع لها علاقة بأدب وطني واحد منفرد عن غيره، ويرى في هذا الباب أن الأدب القومي ضرب من الزيف الذي لا أصل له، إذ إنه لا يمكن لأدب أمة أن يكون مغلقا متقوقعا على نفسه، بل إن الأصل بالآداب أن تكون مفتوحة على غيرها، لأن العمل الأدبي بمختلف أشكاله ما دام خرج من الأديب فهو ملك للجميع.

3. وأما الأدب العام: فهو مصطلح استخدم للدلالة على الأدب شعرا ونثرا، وما اتصل بهما من مبادئ للأدب ونظريات.

4. وأما الأدب العالمي: فهو مصطلح استخدم لدلالات كثيرة، فهو مصطلح يفترض دراسة الآداب ومقارنتها في القارات الخمس، وعند الغرب نراه ينتقي الأعمال الأوروبية ويجعلها مركزا للآداب، بمعنى أن الأدب الغربي له الأفضلية المطلقة على الآداب الأخرى، فاستحق لقب عالمي، ويقصد به عند النقاد المحدثين: هو ذلك الأدب الذي ينتشر في كل بلدان العالم؛ فلا يظل الأدب داخل حدود بلد معينة، بل ينتقل ليجوب جميع البلدان، وأول من استخدم هذا المصطلح الأديب والناقد الألماني يوهان غوته عام 1832م، ويشير علوش لعدد من الأعمال العالمية، ومنها: مسرحيات شكسبير، والأعمال الأدبية والمسرحيات الإغريقية، وألف ليلة وليلة، وأعمال نجيب محفوظ، وشعر عمر الخيام، وغيرهم ممن شاعت أعمالهم في شتى بقاع الأرض.

ثم ينتقل علوش ليتحدث عن أدوات الناقد المقارن؛ فيشير إلى أن الناقد المقارن لا بد له من أدوات، وآليات، وأسس، يسير عليها في أعماله النقدية المقارنة، ومن دونها يكون عمله ناقصا، من أهمها الدراسات التاريخية؛ فيلأمه بالتاريخ يمكنه من تطوير أساليبه النقدية المقارنة، وذلك من خلال توظيف بعض الأحداث دينيا، أو اجتماعيا، أو اقتصاديا. ثم لا بد للناقد المقارن أن يكون مثقفا ملما بآداب الدول الأخرى، وبلغات غير لغته، عندها يستطيع توظيف المخزون الثقافي الذي تعلمه في أعماله النقدية المقارنة، فالناقد والمقارن لا بد له من حفظ متين، وشدة ملاحظة، وثقافة عالية، وسرعة بديهية، وتأويلات، وتفسيرات منطقية، وهذا لا يتأتى إلا بسعة الاطلاع، وبمعرفة لغات متعددة، وعلى الناقد والمقارن أن يهتم بدراسات متخصصة في ذات المجال للعمل الأدبي المنوي بمقارنته، كما أن التنقل والرحلات بين الدول يعطي الناقد والمقارن ثقافة عالية، ويطلع على مخزونهم الثقافي. وبعد هذا التقديم في القسم الأول، وهو قصير إذا ما قارناه مع القسم الثاني، ينطلق سعيد علوش للقسم الثاني ويتحدث عن مدارس الأدب المقارن، كما يلي:

3. 1 أولا: المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن (حجاج، 2023).

وهي أول مدرسة في الأدب المقارن، ويطلق عليها: المدرسة التقليدية، أو المدرسة التاريخية، وقامت هذه المدرسة على المنهج التاريخي، ولذلك سميت بالمدرسة التاريخية، وقد بدأ النقد المقارن مع الناقد الفرنسي **أبل فيلمان** عام 1827م، واستخدم فيلمان مصطلح الأدب المقارن لأول مرة في كتابه "صورة القرن الثامن عشر"، وهو أول من استخدم مصطلح "الأدب المقارن"، وبعد ذلك أخذ **فيلمان** يلقي محاضرات في جامعة السوربون عام 1828م عن تأثير الأدب الفرنسي على الآداب الأوروبية الأخرى، ومن هذه التأثيرات، التأثيرات المتبادلة بين الأدبين الفرنسي والإنجليزي، والتأثر والتأثير بين الأدبين الفرنسي والإيطالي، وبعدها بحوالي عامين عام 1830م ألقى الناقد الفرنسي **جان جاك أمبير** محاضرات عن النقد المقارن وعلاقة الأدب في التاريخ، وأول مرجع للنقد المقارن كان كتاب "الأدب المقارن" للناقد الفرنسي **فان تيجم** في عام 1931م، وبعد أول تنظير حقيقي للأدب المقارن (هادي، 1389، ص 17).

ولقد بدأت معالم وسمات المدرسة الفرنسية بالظهور مع ظهور أول مجلة للأدب المقارن، وبعد مقال "الكلمة والشيء" من أوائل هذه الأعمال المؤثرة في ظهور المعالم والسمات، وقد نادى النقاد بالانفتاح على الآخر، كما نادوا بإنكار القوميات والانعزالية، ومنهم الناقد "مدام دي ستايل"، و"أمبير" (حسن، 1950، ص 217). من خلال كتابهما النقدي الشهير "عن ألمانيا"، ومن العوامل المهمة المناخ الخصب أيضاً، الذي ساعد في ظهور الأدب المقارن في فرنسا قبل غيرها من البلاد؛ فقد اهتم الملوك والحكام الفرنسيين بالعلم والثقافة والمتقنين بشكل كبير جداً، حتى أصبحت فرنسا مركزاً ثقافياً هو الأول من نوعه في أوروبا، وأيضاً النظرة الاستعمارية؛ حيث إن الفرنسيين أرادوا استرجاع مكائهم الثقافية والعلمية، وذلك من خلال بسط نفوذهم على المستعمرات الفرنسية، حتى إننا نلاحظ كثيراً من البلاد التي كانت مستعمرة من فرنسا قد تطبعت بطباعهم، وأصبحت ثقافتهم ثقافة فرنسية، ولغتهم اللغة الفرنسية، حتى إننا نلمس في لهجة بلاد المغرب العربي التأثير الشديد في اللغة الفرنسية. ويشير الطاهر أحمد مكي أن أول من حدد تعريفاً إجرائياً للأدب المقارن هو الناقد "بول فان تيجم" في أحد كتبه التي صدرت في باريس عام 1931م، فيقول: "إنه العلم الذي يدرس على نحو خاص آثار الآداب المختلفة في علاقاتها المتبادلة" (الطاهر، 2008، ص 17). وفي تقديم "جان ماري كاري" لكتاب الناقد "ماريوس فرانسوا غويار" يقول: "إن الأدب المقارن فرع من التاريخ الأدبي؛ لأنه دراسة العلاقات الروحية الدولية والصلات الواقعية التي توجد بين بيرون وبوشكين" (البقاعي، د. ت، ص 151). وما لا شك فيه أن دراسة مواطن التشابه والاختلاف بين الأعمال الأدبية العالمية المختلفة هي أساس الأدب المقارن، وهذا ما يؤكد عليه كُتّاب كُتّاب "ما الأدب المقارن" (بيير برونيل، كلود بيشوا، أندريه ميشيل روسو)، فقالوا: "إنه لا يصح أن ندخل في حسابنا مجرد عرض نصوص أو حقائق تتصل بالآداب ونقدها لمجرد تشابهها، أو تقاربها دون أن يكون بينها صلة ما نتج عنها توالد، أو تفاعل، من أي نوع كان" (هلال، 2008، ص 94).

تعد ظاهرة التأثير والتأثير من العوامل المهمة جدا التي مهّدت الطريق لظهور الأدب المقارن كعلم مستقل، فالأدب المقارن قام في أساسه على مؤثر ومتأثر، ومن أبرز الأمثلة التي تضرب في ذلك ما حدث بين الأدبين اليوناني والروماني من تأثر أحدهما بالآخر، وقد قيل إن بدايات التأثير والتأثير بين الأدبين بدأت في عام 146 قبل الميلاد، عندما غزى الرومان اليونان، فأصبح الأدب اليوناني، وكذلك الفلسفة اليونانية، مرجعا أساسيا من المراجع للكتاب والفلاسفة الرومان، وقد تأثروا أيضا بإيسخليوس، وسوفوكليس، ويوريديس، المسرحيين التراجيدين المعروفين، ثم حرص الرومان بعد ذلك على الاطلاع على آداب غيرهم، فقرأوا في الآداب الإغريقية؛ مما أثر إيجابا في غزارة إنتاجهم الأدبي، عندها قام بعض النقاد الرومانيون يؤرخون ويقومون بدراسات مقارنة، لكنها كانت دراسات بسيطة جدا، وعدّها بعضهم من الصور النقدية المقارنة الساذجة، وملامح الأدب المقارن لم تظهر كعلم له أسس وقواعد إلا في القرن التاسع عشر الميلادي، وهذا لا ينكر الفضل الذي جاءت به هذه الدراسات البسيطة.

3. 2 متركزات المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن (حجاج، 2023).

هناك أربعة سمات أساسية للمدرسة الفرنسية، وهي:

1. تقول المدرسة الفرنسية أن المقارنة يجب أن تكون بين أدبيين من لغتين مختلفتين؛ بمعنى ندرس شخصية كيلوبترا بين الكاتب المصري أحمد شوقي والكاتب الإنجليزي ويليام شكسبير. أما دراسة عمليين من نفس اللغة لا تسمى في المدرسة الفرنسية مقارنة، بل تسمى موازنة، فالمقارنة تكون بين أدب دولة ما مع أدب دولة أخرى بلغة مختلفة، والموازنة: دراسة عمليين أدبيين من نفس اللغة؛ فمثلا نوازن بين شخصية أوديب بين توفيق الحكيم، وعلي أحمد باكثير، وأحمد علي سالم، الموازنة تكون أيضا بين أي تمام والبحري، بين حافظ إبراهيم وشوقي، بين راسين وفولتير في الأدب الفرنسي، كل هذا يدخل في باب الموازنة لا المقارنة؛ لأنه دراسة عمليين أدبيين من نفس اللغة كما أشرت سابقا. وفي قضية المصطلح قالوا: يمكن إدراج هذه الدراسات تحت مصطلح الأدب القومي.
2. الاتصال التاريخي الموثق؛ فالمدرسة الفرنسية تدرس الاتصال التاريخي الموثق بين طرفي الدراسة المقارنة، بمعنى أنها تتبع هجرة المادة الأدبية من بلد لبلد آخر، وهذا يعني أن المدرسة الفرنسية تدرس كيف اتصل الأديب بإنتاج الأديب الآخر من أجل أن يتأثر فيه، وهذا يكون عن طريق الهجرات، والبعثات الدراسية، والرحلات، والاحتلال، والترجمات، والمنفى،... فالناقد يبحث خلف هذه العناصر التاريخية ويوثقها.

3. التأثير والتأثير؛ المؤثر: وهو الأدب الأصلي، والأدب المتأثر: وهو الأدب المأخوذ عن الأول، والمدرسة الفرنسية تعطي الأفضلية للأدب الأصلي، فهو الأدب المؤثر، وقالوا إن حالة التأثير والتأثر مرتبطة بحالة الاستعمار، والمقصود علاقة الدول المستعمرة بالدول المستعمرة، فالمدرسة الفرنسية ترى أن أدب الدول المستعمرة هو الأقوى والأفضل. وإن الباحث يجد أن أشكال الدراسة المقارنة تنقسم إلى قسمين، كما يلي:

أ. التأويل: ومعنى التأويل أن كاتباً أو أدبياً يتأثر في كاتب أو أديب آخر، ولكن في حدود التفسير.

ب. التأثير العكسي: فهو مخالفة الكاتب للكاتب الأصلي، ويكون ذلك في تناول فكرة أو شخصية، فالكاتب يفرض عليها مفهوماً بعكس الذي أورده الكاتب الأصلي بنصه، يضرب الدكتور محمد زكي عثماني مثلاً على التأثير العكسي، فقال: تناول الكاتب المصري أحمد شوقي لشخصية كليوبترا في مسرحيته مصرع كليوبترا والتي تأثر فيها بمسرحية أنطونيو كليوبترا للكاتب الإنجليزي ويليام شكسبير، فشوقي رأى في كليوبترا المرأة الوطنية المخلصة التي تقدم مصلحة الوطن على مصالحها الشخصية، المرأة التي تضحي بحبها من أجل رفعة شأن شعبها، وهذه رؤية مخالفة لرؤية شكسبير لكليوبترا، فشكسبير يرى أن كليوبترا امرأة مستهترة، متكاسلة، غارقة في الملذات، تتخذ سبلاً ملتوية للوصول إلى أهدافها، في هذه الحالة نقول: إن التأثير كان عكسياً، فشوقي تأثر في مسرحيته مصرع كليوبترا بشكسبير، ولكنه قدم شخصية كليوبترا على شكل مخالف تماماً لما قدمه شكسبير في شخصية كليوبترا.

4. الشكل والمضمون: فالمدرسة الفرنسية تهتم بالمضمون على حساب الشكل، ومعنى ذلك أن المدرسة الفرنسية لا تهتم بدراسة النواحي الجمالية والبنية اللغوية والفنية للعمل الأدبي، فتركيزها منصب على المضمون؛ للجوانب التاريخية، والمصادر الأصلية للأعمال الأدبية، وتوثيق الاتصال التاريخي بين العاملين.

وبذلك، يتضح أن المدرسة الفرنسية في الأدب المقارن قد أرست دعائم راسخة لمنهج نقدي صارم يقوم على التوثيق التاريخي، والتأصيل الثقافي، والربط المنهجي بين الآداب في ضوء التأثير والتأثر، مع تركيز واضح على التمايز اللغوي والمضمون الفكري. لقد سعت هذه المدرسة إلى تجاوز الحدود القومية للأدب، لكنها في الوقت ذاته خضعت لرؤية مركزية أوروبية، جعلت من الأدب الغربي مرجعية عليا في كثير من الأحيان، وخاصة في ظل السياق الاستعماري الذي شكل خلفية فكرية وثقافية لمقولاتها. وعلى الرغم من ما شابها من انغلاق منهجي أحياناً، فإن إسهاماتها لا تزال حجر الأساس الذي قامت عليه دراسات الأدب المقارن في صورها الحديثة، ممهدة السبيل لتطور هذا العلم وتوسعه في مناهج ومدارس أكثر انفتاحاً وتوازناً. وهكذا، تتجلى المدرسة الفرنسية بوصفها النواة الأولى لنشأة الأدب المقارن تنظيراً وتطبيقاً، حيث أرست أسسه المنهجية والتاريخية، وأسهمت في بلورة مفاهيمه الجوهرية من خلال جهود رواده الأوائل كفيلمان وأمبير وفان تينغيم. وقد مهد المناخ الثقافي الفرنسي، بدعم من المؤسسات

الأكاديمية والسلطة السياسية، لظهور هذا الاتجاه النقدي العابر للحدود، والذي دعا إلى الانفتاح الحضاري ونبذ الانغلاق القومي. لقد شكّلت هذه المدرسة، بمنهجها التاريخي وتركيزها على التأثير والتأثر، مرجعية مركزية لا يمكن تجاوزها في تطور الفكر المقارني، واضعة بذلك اللبنة الأولى لعلم أدبي يتجاوز النصوص ليؤسس لحوار حضاري وثقافي عميق بين الأمم والآداب.

4. 1 ثانيا: المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن (حجاج، 2023).

ظهر الاتجاه الأمريكي في الأدب المقارن سنة 1958م على يد الناقد الأمريكي رينيه ويليك (الزركلي، 1980، ص 267). عندما ألقى محاضراته الشهيرة "أزمة الأدب المقارن"، التي ألقاها في المؤتمر الثاني للرابطة الدولية للأدب المقارن، والذي عقد في أحد الجامعات الأمريكية، وظهرت هذه المدرسة كرد على سابقتها المدرسة الفرنسية وما وضعتها من أسس، وشروط، وقيود، فالأدب المقارن كان يواجه أزمة كبيرة، وهذا ما أشار إليه رينيه ويليك، الذي وجه نقدا لاذعا للمدرسة الفرنسية (المدرسة التقليدية)، ونسف بتلك المحاضرة كل مرتكزات المدرسة الفرنسية، وأشار في نقد لاذع أن الفرنسيين نظروا للأدب المقارن من منظور ضيق، وهو من أول من أشار إلى أن الأدب المقارن من الضرورة بمكان أن يُدرس من منظور عالمي شامل، وقد عُدد بذلك المؤسس لمصطلح الأدب المقارن الحديث، ولا ينسى الجهد الذي قدمه الناقد الأمريكي هنري ريماك الذي ساهم في وضع مرتكزات المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن، ويعود الفضل له في فهم المصطلحات والمفاهيم وتطويرها، وله الفضل أيضا في مزاجية الأدب مع مجالات التعبير الإنساني جميعا، فلم يحصرها بشكل واحد من الأعمال الأدبية، فهناك أعمال فنية، وأخرى سياسية، والفلسفية، وعلم النفس، والتاريخ، ... وفنون أخرى إنسانية؛ كالرسم والموسيقى، والنحت، ومن هنا يمكن القول: إن الأدب المقارن عند المدرسة الأمريكية يسعى لمعالجة العلاقات والقضايا المختلفة بين الأعمال الأدبية والفنية، وهذا سبب تمردا من المدرسة الأمريكية على قواعد وأسس، ومرتكزات المدرسة الفرنسية، ونرى في هذه المدرسة النزعة العالمية بخلاف المدرسة الفرنسية.

وظهر مصطلح الأدب المقارن بمفهوم جديد عند النقاد والمشتغلين بهذا الفن، ومنهم "روني ايتيامبل"، الذي أطلق عليه الناقد "رونيه ويليك" المتمرد على المدرسة التقليدية؛ والسبب في ذلك تبنيه لوجهات نظر جديدة، وقد هاجم "ايتيامبل" الناقد "غويار" وقذفه بالعنصرية والتعصب الإقليمي للأدب الفرنسي دون غيره، ودعا إلى الخروج إلى الآداب الأخرى الأوروبية والعالمية، وبهذا يكون "ايتيامبل" قد أبطل شرط الصلات التاريخية بين الأعمال الأدبية، ولما كانت ثقافته موسوعية فقد طبع ذلك أعماله بالشمولية العالمية وعدم تبني الأفكار الضيقة كغيره من النقاد. ومن وافقه بآرائه الناقد "بيير برونيل"، والناقد "كلود بيشوا"، والنقاد "أندري ميشيل روسو"، حيث إنهم تبنوا تعريفا خاصا للأدب المقارن، فقالوا: "الأدب المقارن: هو الفن المنهجي الذي يبحث عن علاقات

التماثل والقراءة والتأثير، وتقريب الأدب من الأشكال المعرفية التعبيرية الأخرى، أو تقرير الأعمال والنصوص الأدبية من بعضها، بعيدة كانت في الزمن أو في فضاء، شرط أن تنتسب إلى لغات متعددة أو ثقافات مختلفة، وإن كانت جزءاً من تراث واحد، وذلك من أجل وصفها، وفهمها، وتذوقها بشكل أفضل" (البقاعي، ص 213).

4. 2 سمات المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن

وللمدرسة الأمريكية أربع سمات تتميز بها عن المدرسة الفرنسية، وهي عكس المرتكزات للمدرسة الفرنسية تماماً، فالمدرسة الأمريكية خالفت المدرسة الفرنسية بكل مبادئها، كما يلي (حجاج، 2023):

1. ألغت المدرسة الأمريكية حاجز اللغة في الدراسات المقارنة؛ فقالت: ليس شرطاً أن تكون المقارنة بين لغتين مختلفتين، بل وسخرت المدرسة الأمريكية من هذا المبدأ، وحجتهم في ذلك أن هناك آداباً تكتب بلغة واحدة مع اختلاف الدول، كالأدب الأمريكي والأدب الإنجليزي، اللذان يكتبان بلغة واحدة، فضلاً عن أن هناك أدباء يكتبون بلغة أخرى غير لغتهم الأم، مثل الكاتب العبثي الإيرلندي "صمويل بكت" الذي يكتب باللغة الفرنسية، فمثل هذا الكاتب عندما نقارن أدبه مع آداب أخرى هل نقول: أدب فرنسي أم أدب إيرلندي أم أدب إنجليزي؟! هذا على أساس أن إيرلندا يتحدثون اللغة الإيرلندية واللغة الإنجليزية، فلو أخذنا موضوع الذات الإلهية بين "جامبول ثارتر" و"صمويل بكت"، "فجامبول ثارتر" يكتب باللغة الفرنسية، "وصمويل بكت" يكتب باللغة الفرنسية، فالمدرسة الفرنسية لا يجوز فيها مقارنة هذين العاملين بالرغم من اختلاف البلدين "فجامبول ثارتر" فرنسي، أما "صمويل بكت" إيرلندي، والسبب أنهما ينتميان لنفس اللغة. أما المدرسة الأمريكية فلا مشكلة لديها من مقارنة مثل هذين العاملين، فقد ألغوا حاجز اللغة.

2. ألغت المدرسة الأمريكية ضرورة الاتصال التاريخي الموثق بين العاملين الأدبيين اللذين يقع عليهما فعل المقارنة، فالمدرسة الأمريكية ترى أنه لا يوجد أي فائدة من إثبات الصلة التاريخية بين العاملين أو بين الأدبيين، وأن الأولى من هذا كله البحث عن سمات وجماليات العمل الفني للعاملين، وأن نقارن بين أوجه الشبه والاختلاف، وهذا يعطي أهمية للعمل الأدبي.

3. من جهة الشكل والمضمون: فإن المدرسة الأمريكية اهتمت بالشكل على حساب المضمون، اهتمت بالبناء الفني، كما اهتمت بدراسة العلاقة بين الأدب ونواحي المعرفة الأخرى، وهذا ما أشار إليه هنري ريماك عندما عرف الأدب المقارن، فقال: إن الأدب المقارن هو دراسة العلاقات بين الأدب ونواحي المعرفة الأخرى، ويمثل على ذلك: بالفنون الجميلة، والفلسفة، والعلوم المختلفة، والتاريخ، والمقارنة بين أدب وأدب، والمقارنة بين أدب وآداب ومجالات التعبير المختلفة كالرقص مثلاً. وهذا التعريف يلفت

انتباهنا لأمر هام جداً، وهو انفتاح المدرسة الأمريكية على كل مجالات المقارنة، فلم تقيد نفسها بأسس المقارنة كما هو حال المدرسة الفرنسية، فالتناص مثلاً يقع ضمن مجالات المدرسة الفرنسية.

4. ومن جهة التأثير والتأثير: فقد هاجمت المدرسة الأمريكية مبدأ التأثير والتأثير الذي أخذت به المدرسة الفرنسية، والذي يقوم على تفضيل المؤثر على المتأثر، حتى إنهم كانوا يفضلون الأدب الفرنسي على أي أدب آخر أخذ منه، وهذا ما هاجمته المدرسة الأمريكية ونبذته، فالمدرسة الأمريكية تتبنى فكرة أن مبدأ التأثير والتأثير قائم على نزعة استعمارية بحثية، وأن النقاد الفرنسيين يحرصون على إثبات أفضليتهم على الآداب الأخرى، وخاصة على أدب الدول المستعمرة، أما المدرسة الأمريكية فقد قدمت فهم البنيات الجمالية للعمل الأدبي بصرف النظر عن جنسية الأدب، وهذا يؤكد فكرة أن المدرسة الأمريكية تهتم بالشكل لا بالمضمون.

4. 3 تلخيص الفروق بين المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية

1. اللغة: المدرسة الفرنسية تشترط أن تكون المقارنة بين عمليْن أدبيين من لغتين مختلفتين. أما المدرسة الفرنسية فإنها تتجاوز هذا الشرط، ولا بأس عندها من مقارنة عمليْن أدبيين من لغة واحدة.
2. الاتصال التاريخي الموثق: المدرسة الفرنسية تشترط وجود صلة تاريخية موثقة بين الأديب المؤثر والأديب المتأثر. بينما المدرسة الأمريكية لا تشترط هذا الشرط البتة، فهي تهتم بدراسة البنى الجمالية في العمل الأدبي.
3. الشكل والمضمون: المدرسة الفرنسية تهتم بالمضمون على حساب الشكل. بينما المدرسة الأمريكية فإنها تهتم بالشكل أكثر من اهتمامها بالمضمون.
4. التأثير والتأثير: المدرسة الفرنسية تتبنى فكرة الأفضلية للعمل الأدبي الأصلي، بمعنى أنها تعطي الأفضلية للمؤثر على المتأثر، حتى لو أن عمل المتأثر أقوى وأكمل من عمل المؤثر. أما المدرسة الأمريكية: فإنها تتجاوز فكرة الأفضلية، وتعد هذه من مثالب المدرسة الفرنسية؛ لأنها تعبر عن نزعة استعمارية، والمدرسة الأمريكية تؤكد أن الأهم في مقارنة الأعمال الأدبية دراسة البنيات الفنية، وجماليات العمل الأدبي.

يمكن القول إن المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن قد جسدت تحولاً جوهرياً في فهم الأدب وعلاقاته بالثقافات الأخرى، متجاوزة القيود التي فرضتها المدرسة الفرنسية التقليدية. فقد رحب النقاد الأمريكيون بمفهوم عالمي للأدب، وأرسوا أسساً جديدة للمقارنة بين الأعمال الأدبية والفنية عبر التنوع الثقافي واللغوي. وبذلك، نجحت المدرسة الأمريكية في فتح آفاق جديدة للدراسة المقارنة، حيث تخلصت من تفضيل الأدب الفرنسي على

غيره، وألغت الحواجز التاريخية واللغوية التي كانت تفرضها المدرسة الفرنسية، مما ساعد على تحديد هذا العلم ليصبح أكثر انفتاحًا وشمولية. وبهذا فقد أسهمت هذه المدرسة في توسيع أفق الأدب المقارن، وجعلت منه مجالًا يعنى بالجماليات والأساليب الفنية، بعيدًا عن البُعد التاريخي الضيق أو الهويات القومية المحدودة. وبذلك، أوجدت المدرسة الأمريكية نهجًا نقديًا أكثر مرونة، يسمح بربط الأدب بمجالات المعرفة المختلفة، ويشجع على فتح الأعمال الأدبية بمختلف الأشكال التعبيرية والفنية. كما أن تمردها على المركزية الأوروبية وأحكامها المسبقة جعلها تفتح الباب لآفاق أوسع لفهم الأدب المقارن في سياق عالمي متعدد الثقافات واللغات.

5. 1 ثالثًا: المدرسة السلافية في الأدب المقارن (حجاج، 2023).

وتسمى أيضًا بالمدرسة الاشتراكية، والمدرسة الروسية، والمدرسة الماركسية، والسلافية: هي لغة قديمة لبلاد شرق أوروبا، منها روسيا، وهذه البلاد كانت تؤمن بالفكر الاشتراكي، فهي تستلهم أفكارها من الفلسفة الاشتراكية، "ويعد الاتجاه الروسي أو ما يسمى بالمدرسة السلافية إحدى المدارس المهمة في الأدب المقارن" (عبود، 1999، ص 31). ومن المعلوم أن الثورة الاشتراكية قامت في روسيا عام 1917م، ولذلك تطلق عليها الأسماء الثلاثة سابقة الذكر، وجاء اسم الماركسية على اسم كارل ماركس وهو مؤسس الاشتراكية، والمدرسة السلافية تهتم بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية؛ بمعنى أنها تركز على الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أدت إلى إنتاج هذا العمل الأدبي، ويتبنى سعيد علوش فكرة أنه لا وجود للخصوصية المطلقة للمدرسة السلافية، بل يركز على الإنتاج الخاضع لأفكار سوسيولوجية، ولا ينفي بهذا سعيد علوش فضل المدرسة السلافية، فإن لها إسهامات كبيرة جدا في تطور الأدب المقارن، وهي ترفض وبشدة الفلسفات الوضعية، بل وتعدّها من سبل البورجوازية المقيّنة. ولم يكن هناك اعتراف بالأدب المقارن كعلم منفصل في فترة اللينينية والستالينية، فقد عدوه منبثقا من الأفكار البورجوازية ومن الأفكار الرأسمالية، وبما أن الماركسية العالمية تلحق الظاهرة الأدبية المتعلقة بالاقتصاد والتاريخ ويعلم الاجتماع، فقد شهدت تحولا في عام 1955م، وتم إنشاء قسم للأدب المقارن في مؤسسة الأدب الروسي للينجراد دار بوشكين، وكان للأدب المقارن الفضل في إعادة التواصل بين أوروبا الغربية والشرقية، والمتتبع لمبادئ المدرسة السلافية والمدرسة الفرنسية يجد بينهما توافقا في اعتمادهما على المنهج التاريخي في دراساتهم المقارنة، لكن هدف كل من المدرستين مختلف تماما عن بعضهما، فالمدرسة الفرنسية توظف المنهج التاريخي حتى تثبت التأثير والتأثير بين الآداب، بعيدا عن القوانين التي تحكم تطورها، بينما أصحاب المدرسة السلافية يوظفون المنهج التاريخي حتى يثبتوا الدور المجتمعي وصراع الطبقات في تشكيل المكونات الأدبية (غيلان، 2006، ص 23).

5. 2 مقارنة

وإذا أتينا لمقارنة هذه المدرسة مع المدرسة الفرنسية، والمدرسة الأمريكية، نستطيع مقارنتها من ثلاثة وجوه، وبشروط ثلاثة، وهي عناصر أساسية لا يستغنى عنها:

1. اللغة: والمقصود بذلك لغة العاملين المراد المقارنة بينهما.

2. الاتصال التاريخي بين الأدبيين.

3. عامل التأثير والتأثر.

بالنسبة للشروط الأول فإن المدرسة الفرنسية تشترط عمليتين أدبيين من لغتين مختلفتين. أما المدرسة الأمريكية فلا تشترط اختلاف اللغة، فمن الممكن مقارنة عمليتين من نفس اللغة، حتى أنها فتحت الباب على مصراعيه للمقارنة، حتى بين الأدب وأي معرفة من المعارف الأخرى، كالنون الجميلة، والتاريخ، وغير ذلك، كمقارنة بين أدبي ولوحة تشكيلية، بين لوحة فنية ومسرحية. أما الشرط الثاني فإن المدرسة الفرنسية تشترط وجود اتصال بين الأدبيين. ويتمثل ذلك في الرحلات، والمراسلات، والترجمات، والاحتلال.

أما المدرسة الأمريكية فلا تشترط وجود اتصال بين الأدبيين.

والشرط الثالث نجد فيه أن الفرنسيين يهتمون بتفضيل أدب المؤثر على الأدب المتأثر.

أما المدرسة الأمريكية تهتم بدراسة النواحي الفنية بغض النظر عن أفضلية عمل عن آخر، فهم يهتمون بالقيم والبنى الجمالية.

ولو ذهبنا للمدرسة السلافية وتناولنا رأيها بالشروط السابقة لوجدنا أنها تهتم **بالصراع الطبقي**، وهو الصراع الأيدولوجي، على اعتبار أنه العامل الأكبر في عملية التأثير والتأثر بين أدباء الدول المختلفة، كما أن المدرسة السلافية تربط **المقارنة الأدبية** بالمكون الاجتماعي والاقتصادية، أعني بذلك الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي أنتج في ظلها العمل الأدبي، وقد قامت المدرسة السلافية على أفكار كارل ماركس مؤسسة الحركة الماركسية الاشتراكية، وكلامه عن البنى الفوقية والتحتية للمجتمع، فقسم كارل ماركس المجتمع لقسمين: البنية الفوقية، والبنية التحتية، وذلك على حسب أسبقية الوجود.

يقول "كارل ماركس" إن **البنى التحتية** والتي لها الوجود الأول في المجتمع تشمل الأفراد، والعمال، وأدوات الإنتاج، والمباني، والمصانع، والمزارع،، وبعد هذه العناصر تأتي البنية الفوقية، فتأتي عناصرها تلك التي تحتاجها البنية التحتية بعد وجودها، فالأمور السابقة في البنية التحتية تحتاج **لقانون يحكمها**، مثل: القواعد، والأسس، وأنها تحتاج لدين، وعادات، وتقاليده، ولفن وأدب. ويقول كارل ماركس: إن أي تغيير في البنية التحتية يتبعه تغير في البنية الفوقية، الذي يعود فيؤثر في البنية التحتية، ويؤثر عليها بالرفض، أو التأييد، أو

التغيير، وبالمثال يتضح المقال: الأدب مثلاً ما هو بين البنيات؟ هل هو بنية فوقية أم بنية تحتية؟ بالطبع إن **الأدب بنية فوقية**، ماركس يؤكد أن شكل البنية التحتية يغير في شكل الأدب ويؤثر فيه، فالبنية التحتية يسيطر عليها الفكر الإقطاعي، الذي نجد فيه أن شكل ومضمون الأدب متأثر بالفكر الإقطاعي، فالبنية التحتية إذا سيطر عليها الفكر الرأسمالي، نجد أن شكل الأدب متأثر بالفكر الرأسمالي، وإذا سيطر على البنية التحتية الفكر الاشتراكي، نجد أن الأدب شكله ونوعه ومضمونه متأثر بالفكر الاشتراكي.

والأدب كبنية فوقية تأثر بطبيعة البنية التحتية، ومن الممكن أن يعود الأدب بدوره فيؤثر مرة أخرى في البنية التحتية، فالأدب من الممكن أن يقيد الفكر الاشتراكي ويثبته، ومن الممكن أن يرفض الفكر الرأسمالي ويغيره، **فالعلاقة بين البنية الفوقية والبنية التحتية علاقة جدلية** على حد قول كارل ماركس، ومعنى جدلية: أنها علاقة تأثير وتأثر، ومن هنا يمكننا القول أن الأساس الذي قامت عليه المدرسة السلافية هو ذاته الفكر الأيدولوجي الذي يتمتع به كارل ماركس، أي أن هناك علاقة تأثير وتأثر بين الأدب والمجتمع، **وبمعنى آخر الأدب**: هو نتاج ظروف اقتصادية، واجتماعية، وسياسية. فإذا أتينا لمقارنة عمليتين أدبيين بعرف المدرسة السلافية سنقارن بين العمليتين **من حيث الظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية**، وأي ظروف أخرى أنتجت العمليتين، وكيف أثرت بدورها في عناصر العمل الأدبي، وهذا هو الأساس الذي بُني عليه النقد الاجتماعي بعمومه، والأساس الذي بنيت عليه المدرسة السلافية في الأدب المقارن، فأدب كبنية فوقية سيتأثر بظروف المجتمع كبنية تحتية، ولذلك عندما أقارن بين عمليتين أدبيين أقارن من حيث المكون الاجتماعي للأدب.

5. 3 شروط المدرسة السلافية مع المدرستين السابقتين

وإذا قارنا الشروط الثلاثة السابقة مع المدرسة الفرنسية والمدرسة الأمريكية لقلنا:

1. تشترط المدرسة السلافية اختلاف لغة العملين الأدبيين؛ أي أن المقارنة تكون بين عمليتين أدبيين قوميتين مختلفتين، بشرط وجود البنية التحتية التي أنتجت العملين، فالظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والاقتصادية، يجب أن تكون واحدة (وهو ما يطلق عليه المكون الاجتماعي).
2. الاتصال التاريخي: لا تشترط المدرسة السلافية وجود اتصال بين الأدبيين.
3. التأثير والتأثير: لا تهتم المدرسة السلافية بعامل التأثير والتأثير، فلا تهتم بمن تفوق على الآخر، ولا تهتم بمن أثر بالآخر، وهدفها الأساسي مقارنة التشابه والاختلاف بين العملين، وذلك من خلال دراسة المكون الاجتماعي والاقتصادي لهما.

والخلاصة: الفرق بين المدارس الثلاث السابقة أن **المدرسة الفرنسية:** تهتم بالمنهجية التاريخية، أما **المدرسة الأمريكية:** فتهتم بالبنى الفنية والنواحي الإبداعية، وأما **المدرسة السلافية:** فإنها تهتم بالمكون الاجتماعي، والاقتصادي.

تظهر الفروق بين المدارس الثلاثة في الأدب المقارن، وهي المدرسة الفرنسية، المدرسة الأمريكية، والمدرسة السلافية، بوضوح في المنهجيات التي تعتمدها كل مدرسة لدراسة الأعمال الأدبية ومقارنتها. فبينما تشدد المدرسة الفرنسية على المنهج التاريخي من أجل إثبات التأثير والتأثير بين الآداب المختلفة، مع التركيز على الأدب الأصلي وفضله على الأدب المتأثر، تتبنى المدرسة الأمريكية نهجاً أكثر تحرراً حيث تهتم بالجانب الجمالي والفني للأعمال الأدبية بغض النظر عن الأصل التاريخي أو اللغوي للعمل الأدبي. وفي المقابل، تسعى المدرسة السلافية إلى ربط الأدب بالبنى الاجتماعية والاقتصادية التي تشكلت في ظلها، مستندة إلى الأفكار الماركسية التي تؤكد على دور الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي في تشكيل الأدب. يعد تركيز المدرسة السلافية على المكون الاجتماعي، والاقتصادي، والديني للأعمال الأدبية بمثابة أحد الأسس التي قامت عليها نظريات الأدب الماركسية، حيث ينظر إلى الأدب كنتاج لظروف مجتمعية معينة، يمكن أن تتأثر وتؤثر في البنية التحتية للمجتمع. بناءً على ذلك، تتفرد هذه المدرسة في طريقة مقارنة الأدب من خلال دراسة السياقات الاجتماعية والاقتصادية، مع تجنب المطلق للتركيز على التفوق الأدبي أو التأثير التاريخي بين الأديب المؤثر والمتأثر. ويمكننا القول: إن كل مدرسة من هذه المدارس قد قدمت إسهاماً مميزاً في مجال الأدب المقارن، لكن أهدافها واهتماماتها تختلف بشكل جذري. بينما تركز المدرسة الفرنسية على التأثير التاريخي، وتستعرض المدرسة الأمريكية البنية الجمالية للعمل الأدبي، تركز المدرسة السلافية على تأصيل العلاقة بين الأدب والمجتمع من خلال دراسة البنى الاقتصادية والاجتماعية. وبذلك، تظهر كل مدرسة ملامحها الخاصة التي تمثل منظورات مختلفة لفهم الأدب وعلاقته بالواقع الاجتماعي والسياسي الذي نشأ فيه.

6. 1 رابعا: المدرسة العربية في الأدب المقارن

يصف سعيد علوش المدرسة العربية بأنها لم تستقل بذاتها، بل نجد أن رواد النهضة العربية والذين يعدون المؤسسين للأدب المقارن العربي اهتموا بمقارنة أوجه الشبه والاختلاف بين الآداب المختلفة العربية والغربية، ولكنهم غفلوا عن دراسة التأثير والتأثير؛ فلم يكن من ضمن اهتماماتهم إظهار الأفضلية لأدب أمة على أمة، وهذا على العكس تماما من المدرسة الفرنسية، وعلوش يتحفظ على تسمية المدرسة العربية؛ لأن ههها كان الترويج، والدعاية للأدب والدرس (علوش، 1987، ص 159). وقد جعل سعيد علوش المسيرة العربية في الأدب المقارن في أربع مراحل، كما يلي:

1. **المرحلة الأولى:** وهي مرحلة البدايات لهذا النوع الآداب، وقد شملت مجموعة من رواد النهضة المصريين، مثل: علي مبارك، ورفاعة الطهطاوي، ثم جاء من بعدهم: أحمد ضيف، وفخري أبو السعود، الذي كتب مقالات في مجلة الرسالة المصرية عام 1933م، و1937م، وعددا من المقالات في أوجه الشبه بين آداب مختلفة كالآداب العربي والآداب الإنجليزي، ومن شملتهم مرحلة البدايات: **الفلسطيني روجي الخالدي، وفكتور هوجو، وقسطاكي الحمصي،** الذي وازن بين رسالة الغفران للمعري، والكوميديا الإلهية لدانتي الإيطالي، ومنهم أيضا: **خليل هنداوي.**
2. **المرحلة الثانية:** وهي مرحلة التأسيس (1948م-1960م)؛ يعد **مُجد غنيمي هلال، وإبراهيم سلامة** علامة بارزة في سماء الأدب المقارن العربي، كما يلي: في عام 1945م قررت جامعة القاهرة تدريس الأدب المقارن في كلية دار العلوم، على أنه أحد العلوم المستقلة، وفي هذه المرحلة برزت كتب كثيرة في هذا المجال، جُلها يعد من الكتب التعليمية النظرية، ويعد كتاب "الأدب المقارن" لنجيب عقيقي أول كتاب في هذا المجال، وكان ذلك في عام 1948م، ثم ظهر كتاب يحمل نفس الاسم "الأدب المقارن" لعبد الرزاق حميدة، وكان ذلك في عام 1953م، ثم توالى الدراسات والأبحاث بعد ذلك ليظهر كتاب "الأدب المقارن" للدكتور **مُجد غنيمي هلال**، أيضا في عام 1953م، الذي يعد من أهم الكتب العربية على الإطلاق في هذا المجال، حيث إن **مُجد غنيمي هلال** درس هذا العلم على أيدي أصحابه المؤسسين والمنظرين السابقين لهذا العلم عالميا، وما يذكر أن **مُجد غنيمي هلال** كان قد درس لفترة في جامعة السوربون في فرنسا، وفي هذا الكتاب نراه **ينهج نهج المدرسة التاريخية** التقليدية الفرنسية، ويعد كتاب **هلال** ناقلا لأفكار المدرسة الفرنسية على وجه الخصوص، والثقافة الغربية على وجه العموم، ونجد كثيرا من الإحالات والتوثيق بالغة الفرنسية التي جعلها من وجهة نظره قائمة على العلاقة بين الأسباب والمسببات (علوش، 1987، ص 171). وظهر في نفس الفترة "دراسات في الأدب المقارن" لإبراهيم سلامة، وكتاب حمل نفس المسمى "دراسات في الأدب المقارن" لصفاء خلوصي، وفي هذه الفترة ابتدأت سمات المدرسة العربية بالظهور.
3. **المرحلة الثالثة:** وهي مرحلة الترويج، وكانت بين عامي (1960م-1970م)؛ وتعد مرحلة قصيرة نسبيا إذا ما قورنت مع مراحل أخرى، وفي هذه المرحلة أصدر قسم اللغة الفارسية بالجامعة اللبنانية في بيروت مجلتي متخصصتان في الأدب المقارن، **المجلة الأولى** كانت تحت مسمى "الدراسات الأدبية" وكانت بين عامي (1959م-1979م)، وكانت جل موضوعاتها منصبية على المقارنة بين الأدبين العربي والفارسي من خلال أعمال أدبية مختلفة، وكانت تصدر باللغتين

العربية والفارسية، وكانت تهتم بدراسة العلاقات التاريخية والتأثير والتأثير بين الأعمال الأدبية، وتجدر الإشارة إلى أنه قد صدر منها أربعة وثلاثون عددا، ثم ما لبثت أن توقفت عن الصدور بعد الثورة الإيرانية في عام (1970م)، وقد أعيد إصدارها عام (2000م). والمجلة الأخرى: مجلة "الدفاتر الجزائرية للأدب المقارن"، بين عامي (1967م-1968م)، ولم تدم هذه المجلة إلا عاما واحدا، وكانت تصدر باللغة الفرنسية، كان مديرها جمال الدين بن الشيخ، وتجدر الإشارة إلى أنه استطاع التوفيق بين الثنائية العربية الفرنسية في الأعمال الأدبية، والفضل في ذلك يعود إلى سفره إلى فرنسا وإقامته فيها مدة من الزمن ليست باليسيرة، وقد رَوَّج للدرس المقارن الفرنسي الذي أصبح جزءا من ثقافته، وممن تبني آراءه مُحمَّد غنيمي هلال، ومُحمَّد عبد المنعم خفاجة، وحسن جاد الله حسن، وكل منهما أخذ يروج لهذا المنهج على حساب المناهج الأخرى.

4. **المرحلة الرابعة:** وهي مرحلة عقد الرشد، من عام (1970م-الآن)؛ وتعد هذه المرحلة مهمة جدا، فقد ظهر فيها أكاديميون، ومنظرون، ومؤلفون، ومترجمون، وقد تميزت هذه المرحلة بسمات كثيرة، من أهمها: التوجه بشكل أكبر مما كان عليه سابقا للدراسات التي تتسم بأنها عربية غربية، ومن أبرز من اهتم بهذا المجال: سعيد علوش، وعز الدين منصورة، وأمينة رشيد، والطاهر أحمد مكي، وأحمد درويش، وريمون طحان، وإبراهيم عبد الرحمن، وحسام الخطيب. وتعد هذه المرحلة مرحلة الحركة والديناميكية؛ حيث إن مادة الأدب المقارن أخذت تُدرَّس في جل جامعاتنا العربية، وأخذ الاهتمام يزداد أكثر وأكثر؛ لإدراك طلاب العلم والباحثين أهمية هذا العلم، وقد أنشئت في الجزائر رابطة علمية ثقافية في مدينة "عنابة" من أبرز توجهاتها الاهتمام بالأدب المقارن وما يتصل به، وسميت بـ"الرابطة العربية للأدب المقارن" وكان ذلك في عام 1983م، وقد عقدت ثمانية مؤتمرات منذ تأسيس هذه الرابطة إلى الآن، وأهم هذه المؤتمرات: المؤتمر الأول: الذي عقد بمدينة "عنابة" في الجزائر عام 1984م، والمؤتمر الثاني: الذي عقد بمدينة "دمشق" في سوريا عام 1986م، والمؤتمر الثالث: الذي عقد بمدينة "مراكش" في المغرب عام 1989م، ...، والمؤتمر الثامن: الذي عقد بمدينة "عنابة" في الجزائر عام 2015م، وقد صدرت مؤلفات كثيرة في الأدب المقارن في هذه الفترة، كما عقدت العديد من الندوات والمؤتمرات في مصر، ودمشق، وبيروت، والمغرب، كما ظهرت على الساحة مجالات متخصصة خصصت أعدادا منها للأدب المقارن وكل ما يتعلق به، منها مجلة "المعرفة" السورية في عام 1978م، ومجلة "الفكر" الكويتية في

عام 1980م، ومجلة "فصول" المصرية، وقد خصصت عدد منها في عام 1983م، ومجلة "الموقف الأدبي" السورية عام 1988م، وقد ظهرت مجلات متخصصة في أغلب جوانبها في الأدب المقارن، ومنها: مجلة "ألف" والتي تصدر عن الجامعة الأمريكية في القاهرة بمصر، ومجلة "الثقافة الأجنبية" و"مجلة الاستشراق" العراقيتين، ومجلة "الأدب الأجنبية" السورية، ولكن للأسف مع ما قدمته هذه المجلات، وبالرغم من الآمال التي علقت عليها، إلا أن أكثرها توقف عن الصدور، ومنها من أقلت بين صفحاتها من هذه العلم؛ لقلة متابعيه من عدا أصحاب التخصص. ويمكننا القول: إن المدرسة العربية في الأدب المقارن قد شهدت تطوراً ملحوظاً على مر المراحل المختلفة التي مرت بها، من مرحلة البدايات التي اتسمت بالاهتمام بالمقارنات بين الآداب العربية والغربية، وصولاً إلى مرحلة عقد الرشد التي أصبح فيها الأدب المقارن جزءاً من التكوين الأكاديمي في الجامعات العربية. ورغم التحديات التي واجهتها المدرسة العربية في هذا المجال، إلا أن جهود المفكرين والباحثين مثل سعيد علوش ومحمد غنيمي هلال قد أسهمت بشكل كبير في وضع الأسس النظرية لهذا العلم وتوسيع آفاقه. وقد أظهرت هذه المدرسة اهتماماً خاصاً بالعلاقات بين الأدب العربي والثقافات الغربية، وتحديداً في البحث عن التأثير والتأثير المتبادل، وهو ما يعكس قدرة الأدب على الانتقال والتفاعل عبر الحدود الثقافية. مع مرور الوقت، يظل الأدب المقارن في العالم العربي أحد أبرز الأدوات لفهم العلاقات الثقافية المعقدة بين مختلف الحضارات، ومن المتوقع أن تستمر هذه الدراسات في الازدهار والنمو، مما يعزز الحوار بين الأدب العربي والأدب العالمي.

6. 2 مما يُحمد لكتاب "مدارس الأدب المقارن" للكاتب سعيد علوش

1. تناول دراسة شاملة للموضوع؛ فالكتاب يعد مصدراً موثقاً لفهم مدارس الأدب المقارن وتطورها على مر العصور، كما أنه يقدم نظرة شاملة حول الأدب المقارن ومدارسه، ومناهجه، وطرائق المقارنة بين مدرسة وأخرى.
2. البحث الدقيق والمرجعية الجيدة؛ يتضح من الكتاب أن المؤلف أجرى بحثاً دقيقاً، ومراجعة واسعة للأدبيات المختلفة المتعلقة بموضوعه، ونراه يعكف جيداً على توضيح النظريات والمفاهيم الرئيسية في مجال الأدب المقارن.
3. أسلوبه في الكتاب سهل وواضح بالعموم؛ يتميز الكتاب بأسلوب سهل وواضح، يُسهّل فهم المفاهيم المعقدة لغير المتخصصين في الأدب المقارن. ويعد ذلك ميزة إيجابية، حيث يكون الموضوع غالباً صعب التناول في بعض الكتب.

4. شمولية الموضوع؛ حيث إن الكتاب يغطي مواضيع متنوعة في مجال الأدب المقارن، مما يمكن القارئ من الاطلاع على مختلف المدارس، والتيارات، والأفكار المتعلقة بالموضوع.
 5. توضيح الفروق والتشابهات؛ حيث إن الكتاب يعرض تحليلاً مقارناً دقيقاً للأعمال الأدبية من ثقافات مختلفة على حسب المدرسة، مما يساعد في فهم الفروق والتشابهات بين الثقافات المختلفة، وتأثيراتها على الأدب.
 6. إبراز التطور التاريخي؛ يساعد الكتاب في فهم التطور التاريخي لمدارس الأدب المقارن، وكيف تطورت هذه المدارس على مر العصور، وكيف تأثرت بالعوامل الثقافية والاجتماعية.
 7. تقديم النقاط النظرية؛ يستعرض الكتاب النقاط النظرية الهامة في مدارس الأدب المقارن، مما يساعد القارئ على بناء فهم أكثر عمقاً للمفاهيم والنظريات الأساسية.
 8. مصداقية المصادر؛ يعتمد الكتاب على مصادر موثوقة، ومراجع معترف بها في مجال الأدب المقارن، مما يجعله موثقاً به في تقديم المعلومات.
 9. توضيح الأهمية الثقافية؛ حيث إن الكتاب يسلط الضوء على أهمية الأدب المقارن في تعزيز التفاهم والتقارب الثقافي بين مختلف الثقافات والأمم، مما يجعله قيمة مضافة في تعزيز التواصل الثقافي العالمي.
 10. الإشارة إلى الاتجاهات المعاصرة؛ يُعد الكتاب دليلاً قيماً لاكتشاف الاتجاهات المعاصرة في مجال الأدب المقارن، ومناقشة تأثير التطورات الحديثة على المدارس، والمناهج، والتحليلات. كما يساهم في إثراء المعرفة الثقافية، ويُعزز الكتاب فهم القارئ للعديد من الثقافات والتقاليد الأدبية المختلفة، مما يُسهم في تنويع المعرفة الثقافية للقارئ وتحسين رؤيته العالمية.
6. 3 من الأمور التي من الممكن أن تؤخذ على الكتاب (هادي، 1389، ص 17).
1. عدم تحديث المعلومات؛ قد يعد بعض القراء أن الكتاب قديم نسبياً، ويفتقد إلى تحديثات مهمة حول التطورات الحديثة في مجال الأدب المقارن. وقد تكون بعض الأبحاث والنظريات التي ظهرت بعد نشر الكتاب غير مدرجة فيه، كون نسخة الكتاب تعود لعام 1987م، والتي على حسب ما بحثت عنه لم يُعد نشره بعد ذلك التاريخ.
 2. التركيز الكبير على المدارس الأوروبية؛ قد يعد بعض الدارسين أن الكتاب يركز بشكل كبير على المدارس الأوروبية أكثر مما ركز عليه بالثقافات الأخرى. يُفضل أن يكون الكتاب أكثر شمولية وتنوعاً في تناول المدارس والأعمال من مختلف الثقافات. فقد يسهم توسيع نطاق التناول للأدب من القارات الأخرى في جعل الكتاب أكثر توازناً.

3. نق [] الدراسات المقارنة العملية؛ يقدم الكتاب نظرة نظرية وتاريخية لمدارس الأدب المقارن، لكنه قد يفتقد إلى الدراسات والتحليلات العملية والتطبيقية لأمثلة من الأدب المقارن الحديث.
4. بالرغم من سهولة الأسلوب ووضوحه، إلا أننا نرى صعوبة في بعض جوانب لغة الكتاب؛ وربما يعود ذلك لترجمة العديد من المصطلحات، وتعريب أخرى، حيث إن لغة الكتاب متقنة، وعلمية رصينة، مما قد يجعله صعب القراءة والفهم للقراء غير المتخصصين في مجال الأدب المقارن.
5. التركيز على الجوانب النظرية العلمية؛ حيث إن الكتاب يتمحور بشكل أساسي حول النظريات والمفاهيم العلمية في مجال الأدب المقارن، وقد يفتقد إلى توضيح أمثلة تطبيقية عملية شاملة، حيث إن كتابا مثل هذا تناول مدارس الأدب المقارن لا بد له من أمثلة كثيرة بين أنواع المدارس ليوضحها للقارئ، على الرغم أن هذه النقطة ربما توقف عندها بعض الباحثين؛ لأن هذا الكتاب وغيره في هذا المجال وفي غيره من العلوم إنما يوجّه للخاصة، أقصد المتخصصين في هذا العلم، مما يجعل القدر الموجود من التحليل كافياً لأصحاب التخصص [].

وبالرغم مما قدمته من بعض الانتقادات التي قد يعدها بعض الباحثين مثلية في بحث يتناول كتابا هاما ومشهورا في الوسط، إلا أن هذا لا ينفي فضل سعيد علوش في كتابه، ويمكن الاستفادة من الكتاب والتمتع بنظرة شاملة حول مجال الأدب المقارن مع الاحتفاظ بوعي النقاط النقدية المحتملة. ويعد كتاب "مدارس الأدب المقارن" لسعيد علوش مصدراً قيماً لفهم مجال الأدب المقارن ومدارسه، واتجاهاته، ولكن ما قصده زيادة الاطلاع والبحث؛ للحصول على صورة شاملة حول هذا التخصص [] المتنوع والمتطور. وختاماً، يُعد كتاب "مدارس الأدب المقارن" لسعيد علوش من الأعمال القيمة التي تقدم للباحثين والمهتمين بالأدب المقارن فهماً عميقاً وموسعاً لمدارس الأدب المقارن وتطورها عبر العصور. رغم بعض الانتقادات التي قد تُوجه إليه من حيث عدم تحديث المعلومات أو التركيز الزائد على المدارس الأوروبية، إلا أن الكتاب يظل مرجعاً مهماً في هذا المجال. من خلال أسلوبه الواضح والعلمي، يقدم علوش تأصيلاً تاريخياً وفكرياً لمفهوم الأدب المقارن، ويُعزز من أهمية هذا التخصص [] في بناء التفاهم الثقافي بين الأمم. لا شك أن هذا الكتاب يعد نقطة انطلاق رئيسية للمهتمين بمواصلة البحث والتنقيب في هذا المجال المتنوع والمتطور، ويظل مصدراً أساسياً لفهم المدارس الأدبية والمناهج المختلفة.

7. الخاتمة والنتائج:

وبعد ما قدمه الباحث من عرض مستفيض لموضوع الدراسة، فإننا نجد أن الدراسة أعطت صورة متكاملة عن مدارس الأدب المقارن، ونُجِّل [] إلى النتائج التالية:

1. تؤثر مدارس الأدب المقارن في الفهم الأدبي العام، من خلال تحليل العلاقات بين الأدبيات المختلفة، وتبادل ثقافات المدارس الأدبية المقارنة الرئيسية التي ناقشها سعيد علوش، والتي شملت: المدرسة الفرنسية، والمدرسة الأمريكية، والمدرسة السلافية، والمدرسة العربية.
2. تطورت مدارس الأدب المقارن عبر التاريخ منذ القرن التاسع عشر وحتى العصر الحديث، إذ شهدت تطورًا هامًا في الأفكار النقدية والتحليلية، ويكمن في تقديم رؤى جديدة للنقد الأدبي من خلال التفاعلات بين الآداب المختلفة.
3. إن كل مدرسة من مدارس الأدب المقارن تتبع منهجية للمقارنة تسمح بتحليل الأعمال الأدبية المختلفة وتفصيلها من منظور معين، مما يساعد في فهم أوجه الشبه والاختلاف بينها، وتأثيراتها في بعضها بعضا.
4. تساعد مدارس الأدب المقارن في تشكيل أفكار أدبية، وثقافية، ونقدية؛ من خلال إثراء النقد الثقافي، وتطوير الأفكار الإبداعية، إذ تكمن أهمية تأثيرها على قدرتها في التأقلم مع التحولات الاجتماعية والثقافية في العصر الحديث.
5. تعد الدراسة حول مدارس الأدب المقارن أداة فعالة لفهم الثقافات وتجاوزها في مجتمعاتنا المعاصرة؛ إذ إنها تمكِّننا من رؤية تأثير الآداب والثقافات على بعضها بعضا، وكيفية تبادل الأفكار والمفاهيم بين الثقافات المختلفة.

8. المصادر والمراجع:

1. حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، ط 2، دار الفكر، دمشق، (1999م).
2. حيدر مُحمَّد غيلان، الأدب المقارن، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، العدد 80، (2006م).
3. خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، (1980م).
4. سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن - دراسة منهجية، المركز الثقافي العربي، المغرب، (1987م).
5. شفيق البقاعي، الأنواع الأدبية مدارس ومذاهب في الأدب المقارن مفاهيم نقدية، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، (د.ت).
6. الطاهر أحمد مكي، الأدب المقارن - أصوله وتطوره ومناهجه، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر - القاهرة، (2008م).
7. عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد كتاب العرب، لبنان - بيروت، (1999م).
8. مُحمَّد عبد الغني حسن، أعلام من الشرق والغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، (1980م).

9. مُجَدَّ غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار نَحْضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر- القاهرة (2008م).
10. مُجَدَّ غنيمي هلال، الرومانتيكية، نَحْضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر- القاهرة، (د.ت).
11. مُجَدَّ غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، نَحْضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر- القاهرة، (2008م).
12. هادي نظري منظم، وريحانة منصوري، الأدب المقارن: مدارسه ومجالات البحث فيه، مجلة فصلية دراسات الأدب المعاصر، (د. ت).
13. محاضرات مسجلة مشاهدة على اليوتيوب للأستاذ الدكتور إبراهيم حجاج- جامعة الإسكندرية، 2023/8/16م: <http://youtu.be/w3ndevr9m5y>.